

بانوراما

كتاب الدراما السورية: كفى تلاعباً بخيالنا

وسام كنعان

خلاف أزمي اعتدنا على سماع جزء منه كل عام تدور رحاه بين مخرجي الدراما السورية من جهة، وكتّابها من جهة ثانية. عند نهاية كل موسم، تخرج مشكلة واحدة على الأقل إلى العلن. هكذا، بعد رمضان 2015 مباشرة، أطلقت الكاتبة عنود الخالد عبر صفحتها على فايسبوك لتعلن حادثة محرّنة تمثّلت في تغيير جذري لمصير «نازك العابد» بطلتها مسلسلها «حرائر» (إخراج باسل الخطيب). وكتبت: «أحب أن أخبركم بأن الحلقة الأخيرة كانت مكتوبة لنعرف ما قامت به نازك العابد بعدما توجّهت الملك فيصل برتبة نقيب شرف في الجيش السوري، وهي المرأة الأولى التي تحصل على شرف كهذا عام 1920. ثم خرجت نازك إلى ميسلون لتقيم مستشفى ميدانياً تعالج فيه الجنود المقاتلين الذين وقفوا في وجه المسعمر الفرنسي». وتابعت الخالد معتذرة من روح المناضلة السورية التي لعبت دورها الممثل الشاب حلا رجب. ووجهت اعتذاراً آخر للمشاهدين بسبب عدم قدرتها على إيصال رسالتها وخواتيم شخصياتها التي استبدلت بقصة «سخيّة» على حد وصفها. بعدها، لم تشأ كاتبة «طالع الفضة» أن تفتح الباب لملاحظات صحافية عندما خرج باسل الخطيب على صفحات جريدة «البناء» اللبّانية ليبرر تغيير النهاية قائلاً: «كان فيصل أول الفارين من الشام بعد سقوط ميسلون واستشهاد يوسف العظمة، ولم يكن بوارد منح أي أوسمة وقتذاك. ثم إنّه، وبغض النظر عن الواقعة التاريخية، ليس مقبولاً اليوم، بالنسبة إلينا كسوريين، أن نختم مسلسلنا بنحذ عن تحرّز نساء الشام وتزوّرن، بمشهد ملك حجازي معروف باتصاله السريّة مع اليهود (اتفاقية فيصل - وايزمان)، وموافقته على إعطاء فلسطين لليهود، يمنح فيه وساماً لمناضلة سورية كنازك العابد التي ربما لو قدر لها أن تحيا من جديد، فستتنازل عن هذا الوسام الذي لم ولن تكون بحاجة إليه كشهادة حُسن سلوك ووطنية».

«الأخبار» توجهت إلى كتّاب مركزين لسماع وجهات نظرهم إزاء ما يطرأ على حكاياتهم ورؤاهم بعدما يعيد المخرجون صياغتها بلغة الصورة؟ تقول عنود الخالد في حديثها معنا: «أنا مع الاختلاف في الرأي، من دون تحويل الأمر إلى نزاع فوضوي، وقناعتي أنّ لا يمكن لشخص أن يدعي الوصول للمعرفة التامة أو



حلا رجب في دور «نازك العابد» في مشهد من «حرائر»

في ذهنك، تكون مرحلة الرضى عن النفس في أقصاها، ثم تبدأ المشكلة حين تكتب ما تخيلته. هناك نقصان كبير سيلحق بما تصورت، وتزداد المشكلة تعقيداً وإحباطاً عندما يبدأ معمل الإنتاج دورته ويحوّل ما تخيلته إلى صورة. حينها، تشعر أنّ ما أنجز أقل مما كتبت، وما كتبتة أقل مما تخيلت». ويخلص رضوان إلى أنّ «الكارثة الكبرى بعد هذا التدرّج في القلّة والانحدار أن يأتي ربع عقل ليصوّر نصف رواية، وتكتمل فصول الخيانة إذا كان المخرج الذي يتصدّى لعملك يرضى بالتنازلات والانحناءات، ومريضاً بوهم العارف أكثر منك، أو معتاداً على عبارة «حاضر سيدي». والسيد في هذه المعمة هو المنتج الذي يطلب، فيستجاب. بالتالي، يصبح المخرج محاسب صورة لا صانعها، وتدعو التسوية جزءاً من عمله. أما النتيجة النهائية لهذه القباحة المنفق عليها، فهي أن يحقق صاحب رأس المال كلفة إنتاجية شحيحة، فيما يضمن المخرج فرصة عمل في الموسم المقبل. ولا ضير إذا حدث هذا على جثة ما بناه الكاتب وتخلّاه».

قلت على الملأ انههبوا إلى جريدة وأخرجوها طالما أنّ الكاتب ليس موجوداً في لاوعيك». أما بخصوص التغييرات التي تطرأ على النص، فتعتقد كاتبة «رسائل الحب والحرب» (إخراج باسل الخطيب) أنّ «التغيير يبدأ عندما يختار المخرج «لوكيشن» غير مطابق لمواصفات النص، وهنا بالضرورة ستتغيّر العلاقات بما فيها الحالة البصرية التي بنى الكاتب روايته انطلاقاً منها وحسبما تخيلها. وحنماً عندما يتغيّر المكان، تتبدّد كل الدلالات التي أرادها صاحب النص. فالكتابة ليست حوارات فقط إنّما إيماءات وحالة بصرية وبنية عامة تسبك بانسجام».

رغم أنّه يشترط حضوره أثناء تصوير العمل من حيث توزيع الأدوار وغير ذلك، إلا أنّ للكاتب سامر رضوان رأياً حاسماً في إشكالية الكتّاب والمخرجين. يقول لنا: «أعتبر عن حزني على الخيال الروائي وحبسه ضمن شريط مصوّر، لكن مقتضى الحال يفرض هذا وقد دخلنا فيه، إذا كان التصوير إذلالاً للقيمة الروائية في حال تسلّمه مخرج سينمائي بار، فما بالك إذا تصدّى لسجن هذا الخيال عنصر تلفزيوني بائس». ويتابع كاتبة «الولادة من الخاضرة»: «عندما تخلق عالماً حكاياً وتشكله وفق تصوّر صارم

الكاتب. تقول: «عموماً، العقود مجففة جداً بحق الكتّاب، وغالباً ما تأتي لصالح المنتج، لذا أدخلت بنداً يتعلّق بوجود التشاور مع الكاتب في حال الاضطرار للتعديل. في هذه الحالة، يكون هناك توافق مشترك على النص، وبالتالي عندما يجزّب الكاتب الدفاع عن نجاح العمل، فإنّه يدافع عن جميع العناصر، كما يكون شريكاً في المسؤولية تجاه العمل سواء نجح أم فشل. وهذا لمصلحة العمل وليس ضده». من جهة ثانية،

تدعي ريم حنا أنّها أول من تدخل في العقد لصالح أصحاب النصوص

تلقت كاتبة مسلسل «24 قيراط» (إخراج الليث حجو) إلى أنّه ربما أصعب ما يمكن للمخرج أن يسمعه من الكاتب أنّ «ما قدّمته ليس هو ما قصدته في حكايتي». وتوضح حنا: «تاريخياً كان نجاح أي عمل يُنسب للمخرج، وكنت من أوائل من قال عفواً أيّها المخرج ما تدعيه وتنسبه لنفسك هو في الأصل أفكار الكاتب». هنا، تذكر الكاتبة السورية بإضراب كتّاب أميركيين سابقاً على خلفية هذا الموضوع: «ولك أن تتخيل الدراما بدون كتّاب. ذات مرّة وبشكل انفعالي

على الت

«خطاب الكراهية» انتقائي... حتى في بريطانيا

نادية كنعان

لا تقتصر العنصرية تجاه المهاجرين الأجانب إلى أوروبا على حالات فردية، بل تشمل أسماء معروفة، أشهرها البريطانية كايي هوكينز التي سبق أن أطلقت الكثير من التصريحات المقيّنة ذات مرّة تحدّثت عن ضرورة استخدام الطائرات لوقف المهاجرين الذين يحاولون عبور البحر الأبيض المتوسط، وقارنت المهاجرين بـ «الصرّاصير»، قبل أن تقترح «إيجاد محرقة كبيرة لتدمير كل القوارب». انتشار العنصرية تجاه المهاجرين مسألة سلّطت عليها الصحافة البريطانية الضوء مراراً خلال

الأسابيع الماضية، مستشهدة أيضاً بكلام رئيس الوزراء ديفيد كامرون حين وصفهم بالـ «أسراب» كأنهم مجموعة من الحشرات. أمام هذا الواقع المستغرب في بلد معروف بثقافة تقبّل الآخر، لم يستطع المسؤولون عن حسابي @bestofthemail و @dmreporter (مجهولا الهوية) على تويتر تحمّل المزيد. هكذا، اتّخذ القرار بإجراء اختبار على قسم تعليقات القراء التابع للموقع الإلكتروني لصحيفة «ديلي مايل» البريطانية، بهدف إظهار مخاطر «تطبيع استخدام هذه اللغة المهينة»، وفق ما ورد عبر موقع «ميديوم».

«أردنا أن نرى درجة التأييد

التي ستحتلّي بها التعليقات إذا استوحيناها من البروباغندا النازية واستبدلنا كلمة يهودي بمهاجر». انطلاقاً من مقطع من كتاب the pestilential miasma of the

قياس درجة التأييد للتعليقات المستوحاة من البروباغندا النازية

world لقاؤ «جبهة العمل الألمانية» روبرت لي، نُشر التعليق التالي: «الصراع مع المهاجرين واضح. أي تدبير موقت سيؤدّي إلى تدميرنا. لا خيار سوى حرب بلا رحمة بكل الوسائل الممكنة». حصل هذا

التعليق على 193 صوتاً مؤيداً، مقابل ستة أصوات معارضة فقط. من إصدار آخر للكاتب نفسه بعنوان The Jews or Us (اليهود أو نحن)، استوحى تعليق ثان: «إذا أراد المهاجرون القتال، نحن جاهزون. لطالما أردنا هذا منذ وقت طويل. لم يعد يوجد في العالم مكان للمهاجرين. إنّنا نحن أو هم، أحدهما يجب أن يرحل». هذا التعليق لم يحظ بأي معارضة، بل أحرز 55 صوتاً مؤيداً.

كلام هتلر نفسه دخل في اللعبة أيضاً عبر هذا التعليق: «لا يساعد الله الرجل الخمول أو الجبان. ولا الناس غير القادرين على مساعدة أنفسهم. هذا المبدأ ينطبق هنا».

أما النتيجة، فكانت 36 «لا» مقابل 6 «نعم». لائحة التعليقات المشابهة طويلة جداً، وفي المحضلة خالص القائلان على @bestofthemail و @dmreporter إلى القول بأنّ الصدمة بحجم هذا النوع من التعليقات على مواقع الصحف البريطانية «وُلدت صدمة كبيرة لدينا، لا سيما لجهة الكمّ الهائل من الكراهية الذي تتضمّنه اللغة المستخدمة».

وتابعا بالقول إنّ «أردنا توضيح أنّه من السهل أن يصبح اللجوء إلى خطاب الكراهية مسألة طبيعية جداً، إضافة إلى إظهار أهمية التركيز على الناس وعلى الحقائق بدلاً من التحيز».